دراسات الترجمة: بحث في المفاهيم بين التراث والمعاصرة

Translation Studies : Research in the Concepts
Between Traditional and Contemporary Course

سعيدة كحيل
جامعة عنابة-الجزائر
kohsaida@yahoo.fr

الملخص :
يدرس المقال مفاهيم الترجمة في الدرس التراثي والمعاصر، بالتركيز على تعريفها عند العرب والغرب، هذه المفاهيم التي مهدت لتفرد الترجمة بنظرياتها ومصطلحاتها ومناهجها ومدارسها. وقد يبدو جليا التركيز على التصور الأول عند العرب لماهية الفعل الترجمي من خلال قراءة سياقات من كتاب الحيوان للجاحظ والذي تأثر بحركة الترجمة في عصره مما مكنه من تجاوز المفاهيم الأولى إلى تحديد تصور لنقد ترجمة أنواع من النصوص ومنها معاني القرآن والشعر. وخلصت الدراسة إلى توضيح أهمية العمل المصطلحي في مجال علم الترجمة.

الكلمات المفتاحية : المفهوم، التراث، المعاصرة، نظرية الترجمة، المصطلح الترجمي.

Abstract :

The article deals with the concepts of translation in the tradition context and in contemporary studies, providing an overview of how these concepts are defined by Arabs and Western researchers, paving the way for translation : its theories, terminology, methods and schools. The focus is on the initial Arab understanding of the translation act based on the reading of some excerpts from al-Ǧāḥiẓ's book « al-Ḥayawān» , which was influenced by the translation movement in his time, enabling him to go beyond the initial concepts to a definition of translation criticism of some types of texts, including the Qur'an and poetry. In its conclusion, the study clarifies the importance of terminological work in the field of translation science.

Keywords : Concept, tradition, contemporary, translation theory, translation terminology.

مقدمة:

إن الترجمة نشاط إنساني عالمي، وهي ترنو لتكون موضوعا لعلم متخصص في سياق لساني وتعليمي. تطلب إعداد هذه الدراسة التعريف بالمفاهيم والمصطلحات، ثم دراسة في تاريخ الترجمة عند العرب والجهود الكبيرة التي بذلوها في نقل التراث اليوناني عبر الوسيط السرياني وغيره مطبقين طرائق عملية لها محاسنها ومساوئها. كما نشير إلى تبلور تصور نظري عند العرب من خلال عرض مفاهيم متقاربة مع الطرح الغربي الحديث.

1. مفاهيم أولية للترجمة:

وردت تعريفات كثيرة لمادة ترجم وأولها في لسان العرب :

> "أما ترجمان فقد حكيت ترجمان بضم أوله، ومثاله: فعللان كعترفان ودحمان وكذلك التاء أيضا فيمن فتحها أصلية، وإن لم يكن في الكلام مثل جعفر لأنه قد يجوز مع الألف والنون من الأمثلة ما لولاهما لم يجز، كعنفوان وجندبان وريهقان. ويقال: قد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر، ومعه الترجمان، والجمع تراجم مثل زعفران وزعافر وصحصحان وصحاصح. قال: "ولك أن تضم التاء لضم الجيم فتقول: ترجمان مثل يسروع ويسروع". قال الراجز: " كالترجمان لقي الأنباط"[1].

أكد ابن منظور في تعريفه على المادة اللغوية وطريقة نطقها والقياس عليها مقيما المعنى على التفسير والإبانة. أما المصباح المنير فجاء فيه: " ترجم فلان كلامه إذا بينه وأوضحه وترجم كلام غيره إذا عبر بلغة غير لغة المتكلم. واسم الفاعل ترجمان ووزن الفعل ترجم -فعلل- ولسان مترجم إذا كان فصيحا ويجمع تراجم وتراجمه"[2]. وأما صاحب القاموس فقد تعرض إلى مادة ترجم في أغلب تصاريفها مشيرا إلى معنى التفسير بلسان المتكلم وبغير لغته في آن واحد. كما جاء في المعجم الوسيط: "ترجم الكلام بينه ووضحه وكلام غيره وعنه: نقله من لغة إلى أخرى ولفلان ذكر ترجمته" [3].

يشير المعجم الوسيط إلى معنى الإبانة لمادة الترجمة ملتقيا مع ابن منظور والفيومي في هذا المعنى ذاكرا شرط الاختلاف اللغوي في النقل مضيفا استعمالا آخر لكلمة ترجمة وهو: "ذكر السيرة الذاتية".

وقد وردت كلمتا ترجمان وتراجم في الشعر العربي. قال الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة:

"إن الثمـانين وبلغتـــــها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان"

بمعنى الحاجة إلى المفسر والمبين للكلام. وقال أبو الطيب المتنبي من قصيدة يصف فيها جيش الروم في معركة الحدث:

"تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحداث إلا التراجم"

والتراجم جمع ترجمان أي المفسرين للكلام. وقال في وصف شعب بوان من قصيدة مدح بها عضد الدولة:

"مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان"

"ملاعب جنــة لو ســار فيــها سليمان لسار بترجمـان"

يشير الشاعر هنا إلى جمال المكان الموصوف والذي قد يعجز عن الإفصاح عن سره حتى سليمان فيلجأ إلى مفسر. ومن هذا المعنى اللغوي لكلمة الترجمة الذي يميل إلى التفسير نستدل على أن الكلمة عربية الأصل، وDragoman[4]استعارها الإنجليز وأدخلوها في معجمهم .

-الترجمة في سياقات عامة:

تتفق أغلب التعريفات الاصطلاحية لكلمة ترجمة على أنها نقل الألفاظ والمعاني والأساليب من لغة إلى أخرى مع المحافظة على التكافؤ. ففي معجم مصطلحات الأدب ورد هذا التعريف: "هي إعادة كتابة موضوع معين بلغة غير اللغة التي كتب بها أصلا، ومع قدم الترجمة قدم الأدب نفسه. وهناك جدل مستمر بين من يرون فيها التقيد بالأصل حرفيا ومن يرون التصرف ومن يرون عدم الجدوى في الترجمة لمن يريد تذوق الأثر الأدبي على الوجه الصحيح...."[5].

يربط هذا التعريف بين الترجمة والأدب مع التأكيد على شرط الاختلاف اللغوي في الترجمة ويعرض إلى ماهيتها من خلال أراء متعارضة. وقد ورد تعريف الترجمة في القواميس الأجنبية بدقة تزامنت مع ظهور نظريات الترجمة؛ وقد عرف قاموس تعليمية اللغات لغاليسون ود. كوست بأنها : ترجمة علامات اللغة بوساطة علامات لغة أخرى وهي أيضا ترجمة علامات لغة طبيعية بوساطة لغة طبيعية

أخرى. وتعتبر النظريات البنوية أن كل لغة تشكل كلا موحدا وهي تجزئ التجربة الإنسانية بطريقة خصوصية، وبما أن الدوال لم تكن يوما متطابقة، لذلك لا يمكن أن تكون الترجمة كلمة، كلمة[6].

وفي قاموس اللسانيات ل "دي بوا" ورد تعريف للترجمة على أنها التعبير بلغة أخرى (أو اللغة الهدف)، عما تقصده لغة أخرى (لغة المصدر) مع الاحتفاظ بالتكافؤ الدلالي والأسلوبي[7].ويختلف التعريفان من حيث أن "غاليسون" يؤكد على أن اللغات لا يمكنها التطابق، وبالتالي التأكيد على استحالة الترجمة الحرفية، بينما يرى "دي بوا" أن شرط الترجمة هو الارتباط بلغتين مختلفتين وأن النقل لابد أن يراعي التكافؤ بين المستويات اللغوية والمعنى.

يذكر "ألان راي" أنواع الترجمة الوفية والحرفية ويطرح فكرة التكافؤ[8]. كما تعرضت القواميس الانجليزية إلى معنى الترجمة الذي يحيل على كل ما يقال أو يكتب في لغة إلى لغة أخرى ومثال قولك: "طلب مني أن أترجم الرسالة إلى اليابانية "[9].

- الترجمة في سياقات خاصة:

يمكن استعمال كلمة ترجمة في أربعة سياقات:

1- الترجمة عملية تطبيقية لفك رموز النص الأصلي وترميز لغة النص الهدف.

2-الترجمة كنتاج لعملية فك الرموز.

3- الترجمة كطريقة من طرائق تعليم اللغة الأجنبية.

4- الترجمة كمجال أكاديمي له مقرراته وعلومه المتداخلة كاللسانيات والسيميائيات وتحليل الخطاب وعلم الاجتماع والنفس اللغويين، ونظرية الاتصال، وتعليم الترجمة. ولكل سياق من هذه السياقات أبعاده وحدوده ومصطلحاته.

في حين أن قاموس اللسانيات وعلوم اللغة يفصل الكلام في الترجمة من حيث ماهيتها وطبيعة العمل الترجمي فهي تتعلق أساسا بتمرير رسالة ما من لغة البدء (لغة المصدر) إلى لغة الوصول (اللغة الهدف) وهذا المصطلح يعين في الآن نفسه النشاط ونتائجه. وهنا نميز بين الترجمة بنوعيها الأدبي والتقني، في علاقة بالتفرع الذي يمس طبيعة النصوص المترجمة ونمطا الذي ننتظره .كما يشكل تباينا مهنيا.

إن الترجمة على هذا الأساس نشاط إنساني عالمي كان له أهميته في كل المراحل بفضل التعارف الذي فرض على المجتمعات والأفراد اللغوية المختلفة. وترنو الترجمة لتكون موضوعا لعلم متخصص، هو علم الترجمة، في سياق لساني وفي علاقة مع الترجمة كنشاط علمي ومؤسساتي.

لا شك أن الكلام عن تعليمية الترجمة يقتضي أولا وعيا مفاهيميا يميز بين الترجمة والنقل. وتركز الترجمة على محتوى الخطاب واحترام نظام لغة الهدف، وأما النقل فيرتبط بالمستويات الشكلية للخطاب ويمكن أن يوسم بالترجمة الحرفية. حيث ميز جاكبسون ثلاث طرائق لتأويل العلامة اللغوية، وللترجمة بعد تأويلي حسبه بالرجوع إلى ثلاثة أشكال للترجمة[10]:

أ. الترجمة داخل اللغة الواحدة: وتتم فيها إعادة الصياغة حيث نقوم بترجمة كل كلمة بما يراد منها.

ب. الترجمة بين اللغتين: وهي الترجمة بمعناها الشائع.

ج. الترجمة بين خطابين سيميائيين: وتتم بتأويل علامات لغوية بأنساق من العلامات غير اللغوية.

فالترجمة على هذا الأساس وسيلة للتقريب بين لغتين أو ثقافتين، وفق عمل تأويلي وسيميائي لتعليمية الترجمة وإعداد الدرس الترجمي. وهذه الأشكال الترجمية تنبثق أساسا من نوعين : الترجمة الشفهية، والترجمة التحريرية ، ولكل نوع منها العلمية والأدبية طرائق في الترجمة وصعوبات في الأداء.

2. دراسة في تاريخ الترجمة:

يزكو الفكر بالتداول بين الناس، منيرا لعقول البشر. ولئن كان للسابق فضل الابتداء فللاحق فضل الاقتداء وتابعة البناء، وفي هذا تبرز أهمية الترجمة في التاريخ. وعن تاريخها القديم "فقد وجدت ستمائة لوحة من الخزف المحروق في تل العمارنة بمدينة المنيا في البقعة التي تضم مدينة آخت آتون وهي مكتوبة باللغة الأكادية وبالخط المسماري وجاءت لمصر في القرن الخامس عشر من بابل وأشور وجزر اليونان وكانت مصر ترد على المراسلات بالأكادية في الألف الثالث قبل الميلاد"[11].

هذا يعنى أن اللغة الأكادية كانت اللغة الرسمية للعالم، وقد أجمع المؤرخون أن قياصرة الروم وأكاسرة الفرس كانوا يتخذون في دواوينهم تراجمه. ثم إن اللغات

يعلو شأنها بعلو أصحابها وتنحصر وتضعف بضعفهم، فإذا باليونانية بعد فتوح الإسكندر المقدوني تصبح لغة العالم المتحضر ولغة التأليف في العلم والأدب.

وقد أثر ت هذه اللغة على المعرفة البشرية، مستفيدة لا محالة من الشعوب السابقة كالمصريين والفينيقيين...ومن الطبيعي أن تحدث الاستفادة بالترجمة، إلا أن الإشارة إلى هذه الحقيقة تكاد تنعدم في الوثائق التاريخية. وعندما جاء الرومان حافظوا على استعمال اليونانية في تمثيل الآثار الفكرية وبدرجة أقل اللاتينية. وقد سجلت في عهدهم ترجمة الإنجيل سنة 384م بعد أن كان مكتوبا بالعبرية.

أما الفرس فقد ترجموا عن الهند كتاب كليلة ودمنة وتم نقله على يد الطبيب الفارسي برزويه بن أزهر من اللغة الهندية السانسيكريتية إلى اللغة الفهلوية. ولذا فإن "أول حركة واسعة ومنظمة للترجمة العلمية والثقافية إنما هي التي بادر بها العرب"[12].

3. حركة الترجمة عند العرب:

يمكن وصف الحركة العربية للترجمة بأنها متعددة المصادر حيث ترجم العرب عن الهندية والفارسية والسريانية والنبطية وخاصة اليونانية. كما أنها حركة متسعة شملت القرنين الثاني والثالث للهجرة وتعلقت بعلوم ومعارف مختلفة كالرياضيات والفلسفة والطب والكيمياء والهندسة... فأما الأدب فلم يترجموا إلا القليل منه، لاعتزازهم بشعرهم. وكانت حركة منظمة افتتحت في العصر الأموي على يد الأمير خالد بن يزيد الذي استقدم العلماء والمترجمين لأجل نقل كتب الكيمياء والطب عن اليونان. ولكنها انتشرت وفق نظام خاص بعهد بني العباس فقد تعهدتها الخلافة بالإنفاق منذ الخليفة المنصور، الذي أنشأ ديوان الترجمة ووسعه هارون الرشيد بعده، ليأتي المأمون بإنجاز حضاري هو بيت الحكمة.

لقد شهد العصر العباسي الأول وكذلك الثاني تطبيقا عمليا متميزا للتلقي الذي كان له الأثر البعيد في إعادة الترجمة إلى اللغات الأجنبية، ما نقل سابقا إلى العربية. ولقد قام البرامكة بترجمة الثقافة الفارسية "وأهم ما نقلوا كتاب هزار أفسانة وهو أصل "ألف ليلة وليلة" وترجم إبان بن عبد الحميد بن لاحق (ت200هـ)، كتاب كليلة ودمنة إلى الشعر وأهداه للبرمكي".

ومن تأثيرات كتاب "ألف ليلة وليلة" في ترجمته إلى العربية، ظهور قصة عبد الرحمان جبير "شهرزاد ملكة" والذي وظف فيها أيضا الأفكار المنتشرة في كليلة ودمنة حول الحكم. فالاقتباس من الأصل ثم الإضافة كانا وسيلة الاستفادة من الأعمال المترجمة. وينتهي العصر العباسي الأول ببزوغ اسم حنين بن إسحاق كأمع مترجم في عهد الخليفة المأمون وكان دقيقا في ترجمته حتى قالوا إن المأمون رسم له أن يأخذ وزن ما يترجمه ذهبا. وقد عاش إلى سنة 264هـ. ويأتي العصر العباسي الثاني فتتسع حركة الترجمة عن اليونانية ويرقى العمل الترجمي من مستوى تعريب المصطلحات والترجمة الحرفية المليئة بالعثرات والصعوبات اللفظية إلى ترجمة النصوص ترجمة دقيقة. ويبزغ اسم حنين بن إسحاق(ت 298هـ) في ترجمة كتب الطب عن جالينوس خاصة وعني ابن إسحاق بترجمة الكتب الحكمية والفلسفية لأرسطو وإقليدس وبطليموس. وهناك ثابت بن قرة (ت 288هـ) الذي ترجم كتاب الأصول لإقليدس.

ونتوقف عند أسماء عرفت بالعلم والبحث ثم الترجمة، وكان على عاتقها ترجمة أغلب الآثار الفكرية اليونانية وهي: أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي (232هـ)،جعفر بن محمد البلخي(272هـ)،الفضل بن حاتم التبريزي(31هـ)، محمد بن سنان البتاتي (317هـ)،أبو بكر الرازي (311هـ) ،الكندي يعقوب بن إسحاق (26هـ)، الفارابي أبو النصر بن طرخان(339هـ).

وقد تميزت أغلب ترجماتهم بالإبداعية لأنهم كانوا أعرف بالموضوعات التي ترجموها. ولعل الإشادة بترجمة كتاب الحيوان لأرسطو التي أجادها البتاني واستلهمها الجاحظ في كتابه الرائع "الحيوان" تعد أمرا لابد منه.

ولقد أثر الكندي في أسلوب روجر بيكون (1214-1294) وهو فيلسوف وعالم انجليزي له دوره الثوري في تطوير الفكر الانجليزي[13]. ومما ساعد العرب على تجشم صعوبة الترجمة عن اليونانية وأغلبهم لا يعرفون القدر الكثير من هذه اللغة، اتصافهم بالشجاعة المعنوية والثقة بالقدرة الذهنية على إدراك المعاني الدقيقة، وامتلاكهم ملكة الحفظ التي تغني عن الرجوع إلى الأصل مرارا وخاصة إيمانهم بقدرة اللغة العربية على التعبير والإفصاح.

4. طرائق الترجمة عند العرب:

ورد في كتاب الغيث المسجم للصفدي وهو من علماء القرن الرابع عشر الميلادي ذكر للمبادئ المتبعة في الترجمة[14].وللترجمة في النقل طريقان:

- أحدهما طريق يوحنا بن البطريق، وابن ناعمة الحمصي وغيرهما وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه.

وهذه الطريقة رديئة لوجهين، أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا دخلت عن طريق التعريب كثير من الألفاظ اليونانية .والثاني: إن خواص التركيب لا تطابق نظيرتها من لغة أخرى دائما. وقد يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات.

- الطريق الثاني في التعريب هو طريق حنين بن إسحاق والجوهري وغيرهما. وهو أن يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أو خالفتها. وهذا الطريق أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب من غير الرياضيات لأنه لم يكن قيما بها، بخلاف كتب الطب والمنطق الطبيعي والإلهي فان الذي عربه منها مستحسن. فأما إقليدس فقد صححه ثابت بن قرة.

وقد علق سليمان البستاني على هذين الطريقين اللذين أشار إليهما الصفدي منذ ستة قرون على أنهما مذهبان سار عليهما جيل ما بعد هذه المرحلة.

- تصور الجاحظ لفعل الترجمة:

نظرا لأهمية الترجمة في الحياة ، فقد استدعت أن تكون موضع اهتمام الكتاب، فتكلموا عن وظيفتها وشروطها، ولعل أبرزهم أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الذي وضع في كتابه الحيوان أسس نظرية الترجمة. قال : "إن الترجمان لا يؤدي أبدا ما قاله الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها ويؤدي الأمانة فيها، وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها، والإخبار عنها على حقها وصدقها إلا أن يكون في العلم بمعانيها واستعمال تصاريف ألفاظها، وتأويلات مخارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه فمتى

كان رحمه الله تعالى: ابن البطريق وابن ناعمة وابن قرة وابن المقفع مثل أرسطا طاليس؟! ومتى كان خالد مثل أفلاطون؟! "[15].

يؤمن الجاحظ بحقيقة صعوبة الترجمة الأمينة للنص الأصلي، ذلك أن المترجم ناقل لعمل يمتلكه كاتب، انصهر في التجربة ونخل من بنات أفكاره ما جعل غيره لا يتحد به. - وقال في شروط الترجمة الصحيحة : "ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية، ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليها.

وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين فيه، كتمكنه إذا انفرد بالواحدة، وإنما له قوة واحدة، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما. وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين. على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات، وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق والعلماء به أقل، كان أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه. ولن تجد البتة مترجما يفي بواحد من هؤلاء العلماء "[16]. هكذا نجد الجاحظ قد اشترط في المترجم أن يكون ذا قدرة على البيان والتعبير، لا تقل عن علمه ومعرفته، وأن يكون متقنا للغتين. على أنه يستبعد أن يجمع بينهما كل الجمع، وأن يصنع التكافؤ. إن مجرد استعمال لغتين يوقع صاحبه في الخطأ وبهذا يكون الجاحظ قد أشار إلى معنى التداخل اللغوي. وعلى العموم يمكن أن نجمل الشروط ضمن التأسيس لنظرية الترجمة التي تحدث عنها الجاحظ في هذه النقاط:

1-أن يكون المترجم عارفا بالموضوع الذي يترجمه.

2-أن يكون بيانه في الترجمة في وزن علمه بالموضوع المترجم.

3-أن يكون متقنا للغتي الترجمة وهذا صعب.

4-أن يكون عارفا بأسلوب المؤلف وعباراته وألفاظه وتأويلاته.

5-أن يحافظ على المرامي الدقيقة للموضوع ولا يكون ذلك إلا بنقل مادة المضمون دون تأويل.

تكلم الجاحظ في موضع من كتاب الحيوان عن استحالة ترجمة الشعر لاحتكامه إلى الوزن ومن ثم فليس كل ما يكتب يترجم. هذا عن الترجمة عند العرب

في بداية عهدها، فإنها خضعت للجهد التطبيقي وتعريب النصوص ، ثم إن من الكتاب الموسوعيين من أسهم بالجهد التنظيري وقام بتقويم هذه الأعمال.

والملاحظ أن ما كتبه الجاحظ في الحيوان، لا ينأى كثيرا في فحواه عن نظريات الترجمة اللسانية، ويتعلق الأمر أساسا بالتمكن من لغة أو لغات العمل الترجمي. كما يشير إلى ملاحظات التداخل اللغوي ووجود المقابلات أو عدم وجودها بين اللغات "المصدر والهدف L- source, L- cible"[17].كما تطرق إلى موضوع صعوبة الترجمة، باختلاف نوع النصوص، فمنها الفلسفي والديني والأدبي والعلمي والتقني... ولكل صعوبته.

وانشغل الجاحظ أيضا بفهم النص انطلاقا من لغته، وظلال معانيه. إلا أنه كان ملاحظا خارجيا، لأنه لم يكن مترجما، ومع ذلك اعتبرت هذه الملاحظات مرجعا أساسا للدراسات التنظيرية في مجال الترجمة عموما. وتقوم أفكار الجاحظ على الواقع. إلا أن عدم تمكنه من اللغات كان سببا في حكمه على كفاءة ومنتج المترجم، فهو يقرأ النص بالعربية في لغته لا غير، دون أن يتأثر بتراكيب لغات المترجم. هذا الحكم لم يشمل حنين بن إسحاق، لأنه يبدو أنه كتب ما كتب قبل أن يطلع على ترجمته الدقيقة. ويحق لنا أن نستعمل مصطلح "نظرية" « Théorie » في عرض نصوص الجاحظ في الحيوان عن الترجمة، وسنرى أن النظريات المعاصرة للترجمة لم تبتعد كثيرا عما أورده. وإننا في تعليمية الترجمة سنعود إلى تأكيد هذه الآراء العلمية. هذا هو تراث العرب في الترجمة الذي تراوح بين النظري والعملي، وكان عاملا حضاريا في كل حقبات التاريخ. فقد علقت "زغريد هونكه" على هذا التراث ممجدة دور العرب في نشر الثقافة :

> "لم يكن ما أنقذه العرب من ثقافات ليحفظ في المتاحف بعيدا عن النور والهواء كلا، إن كل ما أنقذوه من الفناء قد خرجوا به من عالم النسيان والتعفن وبعثوا فيه حياة جديدة وجعلوه في متناول كل راغب عن طريق ترجمته وقد ترجموه ليس إلى لغة جامدة غريبة عن الشعب، لا يفهمها إلا الخاصة كاللاتينية في الغرب منذ القرن الثامن الميلادي، بل ترجموه إلى لغة حية في مكان آنذاك، هي لغة القرآن وكانت هذه الترجمة هي العماد الثاني الذي قامت عليه الثقافة العربية..."[18]

5. تاريخ الترجمة عند الغرب:

لقد كانت الأندلس وإيطاليا مركز إشعاع علمي وحضاري ساهم العلماء فيه من العرب وغيرهم في نقل الكتب الإغريقية للمحافظة على التراث الإنساني بالترجمة والتعليق والتفسير. وقد بلغ ازدهار الترجمة في عصر النهضة الأوروبية أوجه، ابتداء من القرن الرابع عشر حتى القرن التاسع عشر بعد أن انتشر تعلم اللغة اللاتينية والترجمة منها مباشرة إلى اللغات الوطنية، حيث قام "مارتن لوثر" بترجمة الإنجيل إلى اللغة الشعبية الألمانية وأجرى التعديلات على الأبنية والمصطلحات التي لم تكن مفهومة. وبذلك عدت الترجمة في عهده خلقا جديدا لا يمت إلى الأصل إلا في معناه.

أما القرن العشرين فقد عرف ظهور مفاهيم جديدة للترجمة وذلك بوجود عاملين جديدين أثرا فيها من حيث ماهيتها فنا وعلما، وفي طرائق تطبيقها وتقنياتها.

6. نشأة علم الترجمة عند الغرب:

عدت الترجمة لقرون عملا تطبيقيا، وكانت الدواعي مختلفة لإنجازها، منها المعايير الثقافية والعقائدية والجمالية. وأما العصور الوسطى والتي عرفت انتقال الثقافة والفكر إلى الأندلس، فقد كانت معايير الترجمة خلالها دينية فلسفية متخذة طريقة الترجمة الحرفية في نقل النصوص.

في هذه المرحلة نشأ الاهتمام باللغات الوطنية ونقل الكتاب المقدس إليها. ومنذ سنة 1363 شجع "شارل الخامس" ترجمة الأعمال القديمة إلى اللغات الوطنية كالفرنسية والألمانية نقلا عن اللاتينية كلغة أصلية. وفي انجلترا عدت سنوات (1558 - 1603) أعظم مرحلة للترجمة وسيطا حضاريا بين المجتمعات، وأشهر مترجم للكتاب المقدس" ويليام تاندال" وقد اعتمد على الترجمة الحرفية أكثر من الحرة.

أما فرنسا فقد أطلق اللغوي والمترجم "روبار إتيان" سنة 1539 كلمة "ترجم" (الفعل) أتبعها "إيتيان دولي" بالاسم "ترجمة" (الاسم) traduire - traduction. واعتبر العمل الترجمي شاقا .ومن أهم أعمال "إتيان دولي" التنظيرية لعلم الترجمة التي نشرت سنة 1540 عمل بعنوان: (طريقة الترجمة الجيدة عن اللغات).وأهم ما ذكره عن طبيعة العمل الترجمي يلتقي فيه مع الجاحظ نذكر ما يلي:

1- يجب على المترجم أن يسمع ويعي جيدا المعنى الذي يقصده الكاتب.

2- أن يتقن اللغتين كمجال للعمل.

3- ترجمة الجمل وعدم الاكتفاء بالألفاظ.

4- تفادي التعابير الصعبة والغريبة والمستعارة والتقيد بالاستعمال المشترك.

5- استعمال الحواس جميعها في التقرب إلى النص وكاتبه من ملاحظة وتذوق إلخ.

ورغم احتكام "دولي" إلى العموميات فإن هذه القواعد تكشف عن وعي جمالي بمشكلات الترجمة ويمكن عدها من نظرية المعنى. هذا وقد بدأ الاهتمام بالترجمة يتزايد بتأثير جملة من العوامل "أولا الحاجة إلى حل مشكلة وجود لغتين أساسيتين رسميتين في كندا... وثانيا استعانة جمعية الكتاب المقدس" The Americain Bible Society" في الولايات المتحدة بعدد من علماء اللسانيات وعلى رأسهم أوجين نيدا "Eugène Nida" للإشراف على الترجمة. ثالثا سعي علماء الرياضيات إلى تحويل الحاسبات إلى آلات ترجمة"[19]. بالإضافة إلى عوامل انفتاح العالم وكثرة الأسفار، مما أدى الى حاجة التعرف على اللغات الأجنبية. ومع ذلك بقيت الترجمة نوعا من أنواع الكتابة، ولم ينظر إليها كعلم أو فن مستقل بل عدت تمرينا أدبيا. وفي مجال اللغات الأجنبية استعملت كطريقة لتعلم اللغات ودعيت طريقة (القواعد والترجمة) وكان "أكثر التدريبات شيوعا هو الترجمة من اللغة القومية إلى اللغة الأجنبية..."[20]. وهي من الطرق العقيمة في تعلم اللغة، لأنها لم تؤسس على أسس علمية ولغوية وسيكولوجية، وقد استمر استعمالها لفترة طويلة في مجال التعليم وكانت تهتم بالدرجة الأولى بوضع قوائم من كلمات اللغتين المختلفتين. وجعل المتعلمين يمارسون حفظها، وكذلك اعتمدت على صياغة القواعد التابعة لهاتين اللغتين وترجمتها، فلم يكن الهدف تعليميا بل كان الجهد مكثفا لحفظ النصوص الأدبية الرائعة.

وقد استمر استعمال هذه الطريقة لفترة طويلة من الزمن في مجال التعليم، وبقي النظر إلى الترجمة على أنها ممارسة فنية لا تحتكم إلى التكوين. وفي سنة 1945 وبتأثير "أوجين نيدا" تحقق الجديد في مجال التنظير للترجمة في مقاله الشهير(Word). ثم العمل الرائد له "نحو نظرية للترجمة" سنة 1963. مستخلصا تجربته في ترجمة الكتاب المقدس[21] في التأكيد على ضرورة دراسة اللسانيات لحل مشكلات الترجمة. وقد قامت جهود علمية تنظيرية بعده

اقترن الوصف العلمي للترجمة بانتشار الفكر اللساني مع "فرديناند دوسوسير" "Ferdinand de Saussure"،وتأثير المنهج الوصفي ودراسة بنية اللغة والخلفية الاجتماعية والنفسية لها وتوظيف التقنيات والمصطلحات الرياضية في دراسة اللغة، ثم ظهور فرع من فروع اللسانيات"Linguistique générale" وهو اللسانيات التطبيقية"la linguistique appliquée"وقد استقل كعلم دقيق بعد ذلك، ومن فروعه تعليمية الترجمة حيث ضبط منهاجها وطرائقها في التدريس... وكل هذا وجه العملية الترجمية اتجاها علميا وتقنيا دقيقا تجلى ذلك في إطار المدرسة البنوية الأوروبية وحلقة براغ[22]،

أما المدرسة الأمريكية بدعم من أوجين نيدا من خلال أعماله (بنية اللغة ونظرية الترجمة -Structure Of Language and Theory of Translation) وكتابه "نحو علم الترجمة" (Towards a Science of Translation)، فقد ساهمت بإدخال مفاهيم علمية جديدة للترجمة بعد أن عدت لزمن فنا. وقد تابع مسيرته في أوروبا مجموعة كبيرة من واضعي نظريات الترجمة[23] مركزين على مظهرين من مظاهر اللغة: المظهر الثقافي والمظهر الخطابي.

وأما المستوى التقني للترجمة فقد تصاحب ونشأة الإعلام الآلي ونتج عنه ظهور الترجمة الآلية La traduction automatique[24]. حيث تخضع العناصر اللغوية للنص الأصلي للبرمجة الحاسوبية، ويتم نقلها إلى اللغة الهدف. والملاحظ على هذا النوع من الترجمة أنه يصل إلى نتائج جديدة في مستوى المصطلحات، وحتى في بعض النصوص العلمية الدقيقة. ولكن لا يمكن أن يصل إلى هذه النتائج كليا في نقل المستوى الدلالي للنصوص الأدبية خاصة... ووحده العمل المتكامل بين الحاسوب والإنسان المترجم كفيل بتحقيق النتائج المرجوة. كما أن التعاون الموجود بين اللسانيات والإعلام الآلي في وضع البرامج ييسر المهمة.

كانت الحاجة إلى التطبيق في المجال اللساني سببا في نشأة طريقة للترجمة مؤسسة على تحليل علمي هو : الأسلوبية المقارنة للفرنسية والإنجليزية[25] وقد جمع فيها الكاتبان فيناي وداربولني (1958) تحاليل وتجارب ثمينة لتلبية حاجة عاشتها كندا ذات الوضع اللغوي المزدوج، ففي البداية حلت مشكلة النصوص القانونية والحكومية الرسمية في لغتين رسميتين، مما شجع على تطوير مؤسسة الترجمة

التي انتسب إليها أكثر من مليون شخص لتكوينهم في التخصص. ولذلك أنجز كل منهما قواعد للترجمة الجيدة، وكان عمل المترجمين ينصب أساسا على ما يجب ترجمته ومالا يجب ترجمته إلا عن طريق الحدس intuition وسنفصل الكلام عن هذه القواعد عند تعرضنا لتقنيات الترجمة.

لقد عرفت المرحلة نفسها تعارفا بين المجتمعات بعد انتشار مدارس وجمعيات الترجمة. وكثرت الأعمال الترجمية للأدب في العالم وبكثرتها كثر التنظير للترجمة. فقد سجلت اليونسكو حتى عام 1970م زيادة قدرها 4.5 أضعاف المترجمات منذ عام 1948.وكانت الآراء النظرية تدرس الصراع بين الترجمة الحرة والترجمة الحرفية دون التعرض الى دور الترجمة في تطوير اللغات الوطنية. وكان عدم التنسيق بين المترجمين سببا في الوقوع في الأخطاء الاصطلاحية مما أدى "لتكوين نظرية للترجمة واقتراح طرائق للترجمة مرتبطة بهذه النظرية ومبنية عليها ولتدريس الترجمة وتقديم مقررات فيها"[26] لتكوين المترجمين.

يرى بعض المنظرين الصلة الوثيقة بين علم اللغة وعلم الترجمة حيث "تشتق نظرية الترجمة من علم اللغة المقارن في إطار علم اللغة " [27] فعلم الدلالة له علاقة بالترجمة في جانب دراستها للثابت وهو المعنى، كما أن علم اللغة الاجتماعي في دراسته للغات واللهجات الاجتماعية المختلفة، المتشابهة والمتغايرة ومشكلات الاحتكاك ونتائجها على اللغة، له علاقة بالترجمة ومشاكل التداخل. وبما أن علم الدلالة يذلل صعوبات المعنى فإن السيميائيات لها علاقة بتفسير الأدلة أو الرموز ويورد نيومارك مثالا للحلوى الثلجية ودلالاتها المختلفة. فحين تتموضع هذه الكلمة في النص فهي في مفهوم القارئ، حلوى مجمدة تتميز بنكهة خاصة، وبالنسبة لصانعها فهي مصدر رزق، وأما ربة البيت فتراها مصدر إزعاج يتطلب صرف المال، أما للطفل فهي مصدر متعة ولذة. ولو وضع القارئ نفسه موضع المترجم لاستحضر كل هذه الدلالات انطلاقا من الرمز اللغوي الواحد، مما يخلق صعوبة من صعوبات الترجمة تذللها العلوم المذكورة سابقا.

خاتمة:

يحيلنا البحث في مفاهيم الترجمة بين التراث والمعاصرة على مقاربات متضافرة ومتقاربة في الطرح تفسر طبيعة دراسات الترجمة عند العرب والغرب. ففي حين ركز الدرس العربي على تصورات تنبع من الممارسة وتتخذ حجة في النقل عن الفكر اليوناني ،نرى المفاهيم الغربية أقرب إلى الدقة المصطلحية المنسجمة مع الطرح الفلسفي. إلا أن التناغم بينهما ولّد تقاربا مفاهيميا بمصطلحات متغايرة لم يتجاوزها الدرس المعاصر إلا اصطلاحا.

الإحالات :

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر الطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990، ص ص 229 - 230.

[2] أحمد الفيومي، المصباح المنير، بيروت 1996، ص 43.

[3] مجمع اللغة العربية بالقاهرة -المعجم الوسيط-، مطابع الأوغست، القاهرة ، ط3، ص 87.

[4] محمد عوض محمد- فن الترجمة. معهد البحوث والدراسات العربية، مصر ، 1969، ص 7.

[5] مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، 1974، ص 576.

[6] R. Galisson et D. Coste. Dictionnaire de didactique des langues. Hachette. France 1976. p. 566.

[7] J. Dubois et autres. Dictionnaire de linguistique -larousse.1973. p. 430.

[8] Alain Rey. Le robert dictionnaire d'aujourd'hui. France loisirs. Paris. 1995. p. 1027

[9] Harrap's Easy English Dictionary : ph.Collin -London 12 in -1991.p487.

[10] Gilles Siouffi et Dan Van Raemdonck. 100 fiches pour comprendre la linguistique. Bréal. Rosny. France. 1999. p. 170.

[11] شحاذة الخوري، الترجمة قديما وحديثا، ط1، دار المعارف، سوسة، تونس، 1988، ص17. من الترجمات ما تم في الشرق الأدنى، فقد ترجمت ملحمة جلجامش إلى اللغة الحثية والسومرية .

[12] المرجع نفسه، ص 24.

[13] بشير العيسوي، الترجمة إلى العربية قضايا وأراء بتصرف، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1996، ص 76.

[14] إبراهيم خورشيد، الترجمة ومشكلاتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985، ص ص 8-9.

[15] أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، الحيوان، تحقيق. ع. السلام هارون، دار الجيل ،بيروت 1996، ج1، ص ص 75-76.

[16] المرجع نفسه، ص ص76 -77.

[17] ورد تعريف لمصطلح اللغة المصدر والهدف في قاموس اللسانيات على أنها هي لغة النص المترجم سواء من لغة المصدر إلى للغة الهدف والعكس صحيح.

Jean Dubois. Dictionnaire de linguistique. Larousse. France. 1989. p. 447 et p. 86.

[18] زغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ط6، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1981 ص 378.

[19] جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، ت. لطيف زيتوني، ط1، دار المنتخب العربي، لبنان، 1994، ص ص 6-7.

[20] نايف خرما وعلي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص 170.

[21] وصلت ترجمات الإنجيل في سنة 1951 الى 1000 لغة وهي السنة التي زامنت رئاسة نايدا "Nida" للجمعية الأمريكية لترجمة الإنجيل.

[22] تكونت حلقة براغ عام 1926 أي بعد عشر سنوات من ظهور محاضرات اللغوي السويسري سوسير في تشيكوسلوفاكيا على يد مجموعة من اللسانيين. وقد قام رائد هذه المدرسة اللساني البولندي جاكبسون (N. s Troubetskoy et Karcevsky) وزميلاه الروسيان تروبتسكوى وكارسفكسي بعرض مجموعة من المبادئ اللسانية وقدموها إلى المؤتمر الأول لعلماء اللغة الذي عقد في لاهاي بهولندا عام 1928 تحت عنوان "النصوص الأساسية لحلقة براغ" ثم صاغوا منهجهم لدراسة اللغة في بيان أصدروه في مؤتمر اللغات، حيث صنفت المدرسة البنوية ضمن المدارس اللسانية في دراستها المستوى الصوتي والدلالي هذا إلى جانب اهتمامهم بتمييز أصوات الكلام وأصوات اللسان. لقد ظهرت لدى أعضاء المدرسة قواعد الفونولوجيا بين أصوات اللغة من حيث وظيفتها الدلالية وتوزيعها في النظام الصوتي لها، وهو أول تعميق منهجي لنظرية اللغة كنظام من العلامات. ينظر سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة. مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1997، ص ص 113- 114.

[23] ينظر: كحيل سعيدة ،تعليمية الترجمة ،عالم الكتب الحديث ،عمان، 2009.

[24] رجع الأعمال الأولى لوضع آلات الترجمة الآلية للغات الطبيعية إلى الحرب العالمية الثانية عندما احتاج الجنود الأمريكيون إلى آلات تقرأ الرسائل المشفرة للجيش الياباني. ثم استعملت نفس التقنيات في الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفيتي حيث استعمل سجل للكلمات من اللغة الأصل والهدف ووضع أنظمة تنسيق بينها وظهرت مشكلات نحوية وصرفية ودلالية إلا أنه أمكن بمساعدة الإنسان التوصل إلى ترجمة بعض الجمل البسيطة.

[25] Georges Mounin : linguistique et traduction, Dessart et Mardaga, Bruxelles, 1974, p. 99.

[26] بيتر نيومارك، اتجاهات في الترجمة، ت. محمود إسماعيل صيني، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1976، ص 16.

[27] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

قائمة المصادروالمراجع:

- **باللغة العربية:**

1- ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر الطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990.

2- الجاحظ، أبو عثمان عمرو، الحيوان، تحقيق. ع. السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1996، ج1.

3- حنا، سامي عياد ، وكريم زكي حسام الدين، ونجيب جريس. معجم اللسانيات الحديثة. مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1997.

4- خرما، نايف، وعلي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها عالم المعرفة الكويت، 1988.

5- خورشيد، إبراهيم، الترجمة ومشكلاتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985.

6- الخوري، شحاذة، الترجمة قديما وحديثا، ط1، دار المعارف، سوسة، تونس، 1988.

7- العيسوي، بشير، الترجمة إلى العربية قضايا وأراء بتصرف، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1996.

8- الفيومي، أحمد، المصباح المنير، بيروت، 1996.

9- محمد، محمد عوض، فن الترجمة، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1969.

10- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطابع الأوغست، القاهرة، ط3.

11- مونان، جورج، المسائل النظرية في الترجمة، ت. لطيف زيتوني، ط1، دار المنتخب العربي، لبنان، 1994.

12- هونكة، زغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ط6، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1981.

13- وهبة، مجدي، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، 1974.

- **باللغات الأجنبية:**

1- Dubois, J. Dictionnaire de linguistique. Larousse. France. 1989.
2- Dubois, J. et autres. Dictionnaire de linguistique. Larousse. 1973.
3- Galisson, R. et D. Coste. Dictionnaire de didactique des langues. Hachette. France. 1976.
4- Harrap's Easy English Dictionary : Collin. London. 1991.
5- Rey, Alain. Le robert. Dictionnaire d'aujourd'hui. France. Paris. 1995.
6- Siouffi, Gilles et Dan Van Raemdonck. 100 fiches pour comprendre la linguistique. Bréal. Rosny. France. 1999.